

الحروف المصوتة في اللفظ القرآني وعلاقتها بالمعنى

د. فريد سرسك**

د. نداء زقزوق*

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٠/١١/٨ م

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٠/٩/٢٤ م

ملخص

تقوم هذه الدراسة ببحث علاقة المعنى القرآني بمقدار ورود وتكرار الحروف المصوتة في اللفظ القرآني، حيث درست الحضور اللافت للحرف المصوت (حرف المد) ودوره في إظهار بعض المعاني الخاصة التي ناسبت نطقه، بينما اقتصرت الجمل القرآنية التي خلت بشكل لافت من حضور الحرف المصوت (حرف المد) بأداء نوع آخر من المعاني.

تم اعتماد المنهج التحليلي في الربط بين ورود وتكرار الحرف المصوت (حرف المد) وما يظهر من المعاني الخاصة بسبب ذلك، وأيضاً ما يظهر من معانٍ أخرى للجمل القرآنية التي خلت بشكل لافت من حضور الحرف المصوت، وتم كذلك اعتماد المنهج الاستقرائي الناقص لاستقراء عدد من النصوص القرآنية؛ لتكون أمثلة على هذه الحالات. وتم كذلك اعتماد المنهج الاستقرائي الكامل من أجل عد الحركات التي تمثلها حروف المد الطبيعية والممدود في تلك الأمثلة بالمقارنة بعدد الحركات غير ذلك النوع، كمرحلة من مراحل البحث.

وخلص البحث إلى أن هناك تغييراً واضحاً بين معاني الجمل القرآنية التي تتميز بالحضور اللافت للحرف المصوت عن معاني تلك التي تتميز بالغياب اللافت للحرف المصوت فيها؛ سواءً أكان ذلك في سياق مستقل لكل من الحالين أم في سياق متصل، وقد تم توضيح ذلك بالأمثلة العملية. الكلمات المفتاحية: حروف المد، الحروف المصوتة، المعنى القرآني.

Vowels in Quranic Pronunciation and their Connection to Quranic Meaning

Abstract

The study examines the relation between the Quranic meaning with the incidence and frequency of vowels in Quranic pronunciation. In this sense, the main focus of the analysis was put on the remarkable presence of vowels (long vowels) and their role in highlighting some special meanings that fit their pronunciation, as opposed to other vowel-free (long vowels) Quranic sentences with different kinds of meanings.

The analytical method was used in linking the occurrence and frequency of vowels (long vowels) to the special meanings associated thereof and any other meanings of Quranic sentences that are remarkably vowel-free. The incomplete inductive approach was also adopted to extrapolate a number of Quranic texts as examples of these cases. The incomplete inductive approach was adopted to select a number of Quranic texts as

* أستاذ مساعد، الجامعة الأردنية – nzaqzouq@gmail.com

** محاضر غير متفرغ.

examples of these cases. On the other hand, the complete inductive approach was used in a certain stage of the research to count vowel marks of natural and long vowels said examples, and compare them to the number of marks in other types.

The research discovered a clear difference between the meanings of the Quranic sentences distinguished by the remarkable presence of vowels and the meanings of vowel-free Quranic sentences. Said difference was observed in both separate and connected contexts for each of the two cases, and illustrated with practical examples.

Key words: Long vowels, Vowels, Quranic meaning.

المقدمة.

عُنيت هذه الدراسة ببحث علاقة المعنى القرآني بمقدار ورود وتكرار الحروف المصوتة في اللفظ القرآني، حيث بينت دور الحضور اللافت للحرف المصوت (حرف المد) في إبراز بعض المعاني الخاصة التي ناسبت نطقه وما يوحي به صوته. بينما اقتصت الجمل القرآنية التي خلت بشكل لافت من حضور الحرف المصوت (حرف المد) بأداء نوع آخر من المعاني.

مشكلة الدراسة.

تجيب الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١. هل هناك علاقة بين المعنى القرآني ومقدار ورود وتكرار الحروف المصوتة في اللفظ القرآني؟
٢. ما دور الحضور اللافت للحرف المصوت (حرف المد) في إبراز بعض المعاني الخاصة؟
٣. ما المعاني التي تبرز عند خلو الجملة القرآنية بشكل لافت من حضور الحرف المصوت (حرف المد)؟

أهداف الدراسة.

تهدف الدراسة إلى تحقيق التالي:

١. إظهار العلاقة بين المعنى القرآني ومقدار ورود وتكرار الحروف المصوتة في اللفظ القرآني.
٢. بيان دور الحضور اللافت للحرف المصوت (حرف المد) في إبراز بعض المعاني الخاصة.
٣. تبيين المعاني التي تبرز عند خلو الجملة القرآنية بشكل لافت من حضور الحرف المصوت (حرف المد)؟

منهج الدراسة.

وقد تم اعتماد المنهج الوصفي في دراسة ماهية حرف المد ومخرجه، وأسباب المد وعلته، واعتماد المنهج التحليلي في الربط بين ورود وتكرار الحرف المصوت (حرف المد) وما يظهر من المعاني الخاصة بسبب ذلك، وأيضاً ما يظهر من معانٍ أخرى للجمل القرآنية التي خلت بشكل لافت من حضور الحرف المصوت.

وتم كذلك اعتماد المنهج الاستقرائي الناقص لاستقراء عدد من النصوص القرآنية؛ لتكون أمثلة على هذه الحالات، وتم كذلك اعتماد المنهج الاستقرائي الكامل من أجل عد الحركات التي تمثلها حروف المد الطبيعية والممدود في تلك الأمثلة

بالمقارنة بعدد الحركات غير ذلك النوع، كمرحلة من مراحل البحث.

إجراءات الدراسة.

واعتمدت هذه الدراسة القراءة والرواية والطريق التي عليها العمل في منطقتنا (الأردن وما حولها) وهي حفص عن عاصم من طريق الشاطبية^(١)، واعتمدت من المدود اللازم والواجب، ومن المد الواجب أقله؛ فبحسب ما عليه العمل لدى القراء جميعاً فإن المقدار المعتمد للمد الفرعي اللازم الذي ينشأ عن السكون اللازم هو ست حركات، وأما المد الفرعي الناشئ عن همز فهو واجب المد في الرواية التي اعتمدها الدراسة بنوعيه المتصل والمنفصل، غير أنه يجوز فيه التوسط (أربع حركات) وفويق التوسط (خمس حركات)، وقد تم اعتماد أقله (أربع حركات).

وقد تم اعتماد طريقة حسابية خاصة لاحتساب النسبة بين الحروف المصوتة والحروف الصامتة؛ ففي حين أن الحروف المصوتة (حروف المد) تقبل الزيادة في الطول أحياناً، كان لا بد من طريقة يتم فيها تفكيك الحرف إلى أقل وحدة يمكن احتسابها ومقارنتها بالحروف الأخرى، فكان التعبير عن الحرف المصوت وعن الحرف الصامت بعدد الحركات التي تؤلفه هو أدق تعبير، فبعد إهمال الحروف المكتوبة غير القابلة للنطق مثل ألف الجماعة، وبعد إهمال الحروف التي لا تنطق في الوصل مثل همزة الوصل وأول الساكنين إذا كان حرف مد وغيرها بحسب ما تقتضيه قواعد النطق العربي وأحكام التجويد، وبعد إضافة ما ينبغي إضافته مثل مد الصلة الصغرى والمدود الفرعية- تم التعبير عن الحروف المصوتة (حروف المد) بالحركات التي تؤلفها (وهذا ما سيتم بيانه أكثر في عرض الدراسة- لتتم كتابة الألف الطبيعية (فتحتين) والألف الممدودة بسبب الهمز (أربع فتحات) والألف الممدودة بسبب السكون (ست فتحات) وهكذا تم التعبير عن الواو بالضمان وعن الياء بالكسرات.

وكما ذكر آنفاً فقد تم اعتماد المد الواجب بسبب الهمز عند حفص عن عاصم من طريق الشاطبية أربع حركات وليس خمساً من أجل إقامة الحجة بأقل الواجب، فإن زيد في المد فهو ما يزيد في تكريس وتأكيد نتائج الدراسة.

الدراسات السابقة.

- دراسة كمال المقابلة، القيمة الدلالية لصوت المد في القراءات، مجلة المنارة، المجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠٠١م. الفرق بين هذه الدراسة والدراسة السابقة لها أن تلك الدراسة تناولت في جزء يسير منها السبب المعنوي للمد، مع إقرار الباحث بأن علماء التجويد أجمعوا على السبب اللفظي للمد ولكنهم لم يجمعوا على السبب المعنوي له بل إنه ضعيف عندهم، ولكن الباحث في جزء من دراسته حاول الكشف عن قوة السبب المعنوي الدلالي للمد في القراءات المتعددة وضرب مثلاً لذلك مد لا النافية للجنس عند بعض القراء في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] وذلك للمبالغة في النفي وغير ذلك من الأمثلة. أما دراستنا ففيها استقصاء للمعنى الخاص الناشئ عن الحضور اللفظي اللافت للحروف المصوتة (حروف المد) مع حضور لافقت للمد الفرعي الموجود أصلاً بسبب من همز أو سكون؛ وهو ما يحمل دليلاً على تعاقب الجمال مع البلاغة في اللفظ القرآني؛ فليست الكلمات وحدها هي التي تؤلف المعاني القرآنية بنظمها وبإيحاءات أصوات حروفها، بل إن تفاعل الحروف وما ينتج عنه من أحكام تجويدية جاء بها الوحي وعلمنا إياها رسولنا الكريم ﷺ لا يقل وفاء للمعنى. وإذا كانت تلك الدراسة قد عنيت ببحث علاقة المعنى بالمد في القراءات القرآنية المتعددة فدراستنا عنيت ببحث علاقة

المعنى القرآني بالحروف المصوتة (حروف المد) في القراءة والرواية والطريق التي عليها العمل في منطقتنا (الأردن وما حولها) وهي حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.

– الدراسة الثانية لحسين أسود، التصوير بالإيحاء الصوتي في القرآن الكريم، تركيا، مجلة كلية اللاهوت بجامعة دوكونز أيلول، الإصدار ٤٨.

فلا شك أنها اقتربت من المعنى الذي عنيت به دراستنا شيئاً قليلاً لكنها افرقت عنها في أمور:

١. من حيث الكم؛ حيث تناولت الدراسة عدداً قليلاً من الأمثلة القرآنية، كما ويمكن وصف كل مثال بأنه قد تلاقت فيه بعض حروف المد الطبيعي بشكل غير لافت بالقدر الذي توافرت عليه دراستنا هذه، فضلاً عن خلو الأمثلة التي في تلك الدراسة من المد الفرعي الذي يتضاعف فيه حرف المد فيتركز فيه التصويت وما يوحي به بشكل أكبر.
 ٢. من حيث الأسلوب؛ حيث تم الحديث عن المدود الواردة في الجملة القرآنية (المثال) بشكل إجمالي دون التماس طريقة حسابية منضبطة لعد هذه المدود ونسبتها للحروف الأخرى غير المدية، وتم الخروج بنتائج معنوية ارتأها الباحث لتلك الجمل القرآنية. بينما تميزت هذه الدراسة بتعرضها لعشرين مثلاً قرآنياً تميز كل منها باحتوائه بشكل لافت على الحروف المصوتة (حروف المد) أو بخلوه بشكل لافت منها وبينت علاقة ذلك في الحالتين بالمعنى القرآني، وقد اعتمدت الدراسة طريقة حسابية منضبطة علمياً لعد هذه الحروف وغيرها.
- وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد ومبحثين، ويتحدث التمهيد عن دلالة الأصوات عند علماء العرب، والمبحث الأول فهو المبحث النظري وينقسم إلى ثلاثة مطالب، الأول: الحرف المصوت (الماهية والمخرج)، والثاني: مد الحرف المصوت (السبب والعلّة)، والثالث: الحرف المصوت المميزات الصوتية والعلاقة بالمعنى، والمبحث الثاني فهو مبحث تطبيقي وينقسم إلى قسمين، الأول: الحروف المصوتة الغالبة، والثاني: الحروف المصوتة الغائبة.

تمهيد: دلالة الأصوات عند علماء العرب.

أشار علماء العربية القدامى إلى المناسبة بين الأصوات ومدلولاتها، ولعل الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من نبه إلى هذا الأمر؛ فقد ورد في كلامه إشارات لذلك لدى حديثه عن العرب في هذا المعنى؛ حيث قال: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًا فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرّصر^(١) وقال سيبويه في شأن المصادر التي تأتي على وزن فعلان "إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النقران والغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال^(٢). فكان صوت حروف الفعل تمثيل لنمط حركاته وسكناته.

وأفرد ابن جنّي بعده باباً في الخصائص عالج فيه هذا الموضوع معالجة متقدمة أسماه: باب في تصاقب^(٤) الألفاظ لتصاقب المعاني، وقد مثّل لذلك بأمثلة كثيرة^(٥). ويستفاد منه أن الاشتراك بين الكلمتين في المبنى يؤدي بالضرورة إلى الاشتراك بينهما في المعنى. وهذا دليل وعي عالٍ من علمائنا إلى أهمية صوت الكلمة بحروفها وحركاتها وسكناتها في استدعاء المعنى الذي تحمله؛ ويبدو أن ابن جنّي كان أشد العلماء اهتماماً بهذه المسألة حيث فصل فيها كثيراً، وكان مما قال: اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة، وعليها أدلة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، عُتيت العرب بها فأولتها قدراً صالحاً من تنقيفها وإصلاحها^(٦).

وقد ظلت هذه المسألة تراود العلماء فيذكروها عند كل مناسبة؛ فهذا هو المفسر الكبير فخر الدين الرازي يتحدث عن دلالة الصوت في تفسيره فيقول: "إن الإنسان عند الراحة أو الوجد يقول: أخ، وعند السعال قد يقول: أخ، فهذه أصوات مركبة، وحروف مؤلفة، وهي دالة على معان مخصوصة، لكن دلالتها على مدلولاتها بالطبع لا بالوضع... وكذلك صوت القَطَا يشبه كأنه يقول: قَطَا، وصوت اللَّفْقَيْشِبه كأنه يقول: لَقْ لَقْ"^(٧)؛ فهذا الاهتمام من المفسر بهذا المعنى يشي بما لا يدع مكاناً للشك بأنه قد تناول اللفظ القرآني منتبهاً لما فيه من دلالة الصوتية.

ليس هذا فحسب، بل إن السيوطي بعد ذلك عقد باباً خاصاً في الإتقان بعنوان: (ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى) تناول فيه أمثلة عديدة من الآيات القرآنية مبرهنناً على التوائم الصوتي واللفظي؛ حيث يقول: تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة، أو جزلاً فجزلة، أو غريباً فغريبة، أو متداولاً فمتداولة، أو متوسط بين الغرابة والاستعمال فكذلك"^(٨).

ويبدو أن هذه المسألة لم تغادر العلماء في تناولهم للقرآن الكريم، وسبرهم أغواره، والبحث في أسراره؛ فكما قال دراز في كتابه النبأ العظيم: إن أول شيء أحسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيع الصوت فيه وتهادي النفس فيه أنا بعد أن^(٩). ثم يضيف: إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني... فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى^(١٠).

ولدى الحديث عن كلمات القرآن الكريم وحروفه، لا بد من استحضار القواعد والأحكام التي تحكم تفاعل هذه الحروف؛ ذلك أن هذا التفاعل قد ينشأ عنه توليد حرف هنا و حذف حرف هناك. يقول مكي بن أبي طالب: والهزمة إذا وقعت بعد حرف المد واللين لك أن تدع إشباع المد في الكلام، فتقول صائم وقائم بغير إشباع... فأما في القرآن فلا بد من إشباع المد اتباعاً للرواية^(١١) مع أن ما ورد على لسان ابن جني في هذا المعنى يشي بأن المد ثابت حتى في كلام العرب حيث قال عن حروف المد الثلاثة: إذا أوقعت بعدهن الهزمة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً^(١٢)، ولكن يبدو أن العربي كان له أن ينقّي مستوى عنايته بذلك في كلامه بحسب المقام، أما في تلاوة القرآن الكريم فالأمر ليس اختياراً.

وقد تم بحث الحكم الشرعي المتعلق بمستوى الإلزام بهذا الأمر؛ فالمتقدمون يرون وجوب قراءة القرآن بالتجويد ومراعاة كل ما يتعلق بكيفية الأداء؛ من مدٍّ وقصر، وإظهار وإدغام، وإخفاء وإقلاب وغيره، ويأثم من ترك ذلك إن لم يكن لديه عذر، فإن كان معذوراً، فلا إثم عليه^(١٣)، وما عليه العمل فإن للتجويد جانبين النظري والعملي، فالنظري: يعني معرفة أحكام علم التجويد وقواعده وحفظها وفهمها، وحكم هذا الجانب أن تعلمه فرض كفاية كسائر العلوم إذ يعد من علوم الآلة والوسيلة، والعملي: يعني تطبيق القواعد التجويدية في أثناء تلاوة القرآن وحكمه الوجوب العيني على كل قارئ للقرآن^(١٤).

ولعل أقوى الأدلة الشرعية في هذه المسألة ما روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه كان يقرئ رجالاً القرآن فقرأ الرجل ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسله^(١٥)، فقال: ما هكذا قرأنيها رسول الله ﷺ، فقال الرجل: كيف أقرأها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ فمددها^(١٦).

إن هذا المستوى من الإلزام والوجوب في تفاصيل الأداء اللفظي للقرآن الكريم يعني بالضرورة أن المعنى القرآني الذي أراده الله تعالى لكلامه لا يتم إلا بهذه الكيفية من الأداء اللفظي والصوتي لآيات القرآن الكريم. فأحكام تلاوة القرآن الكريم

وإن كانت تقوم على أسباب وتفاعلات لفظية إلا أنها لا تخلو أبداً من عامل معنوي ينسجم مع الصوت الذي تؤول إليه. وقد جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على علاقة نوع خاص من الحروف بالمعنى القرآني؛ الحروف المصوتة أو حروف المد الثلاثة (الألف والواو والياء) التي تكاد تخرج من حيز واحد لا يشاركها فيه غيرها. حيث حضورها اللافت في الآية القرآنية يؤدي معاني خاصة، وغيابها اللافت في الآية القرآنية يؤدي نوعاً آخر من المعاني. وهو ما ستعرض له هذه الدراسة بالبحث والتفصيل وفق قواعد علمية قابلة للقياس.

المبحث الأول:

المبحث النظري.

المطلب الأول: الحرف المصوت (الماهية والمخرج).

الصوت لغة: من صَوَّتَ فلان بفلان تصويماً أي دعاه، وصات يصوت صوتاً فهو صائت بمعنى صائح^(١٧).
اصطلاحاً: فهو عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والقم والشفنتين مقاطع تنثيه عن امتداده واستطالته^(١٨).

وقد وُصفت الحروف التي تؤدي الصوت في أكفأ صورته وأقواها في الوضوح السمعي بالحروف المصوتة؛ وهي حروف المد الثلاثة.

قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) في باب الوقف في الواو والياء والألف: وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت^(١٩). وقوله بأن هذه الحروف غير مهموسات يعني أنهم يتصنفن بصفة الجهر التي تؤدي إلى الوضوح السمعي الذي يميز هذه الحروف. وقال المبرد (ت ٢٨٥هـ): فمن حروف البديل حروف المد واللين المصوتة؛ وهي الألف والواو والياء^(٢٠)، وقال عنها أيضاً: وهي حروف بائنة من جميع الحروف... فحروف المد حيزٌ واحدٌ على جِدة^(٢١) وكونها تشكل نمطاً خاصاً من الحروف يوحي بأن حضورها أو غيابها له تأثير خاص على المعنى.

وقد وصف ابن جني (ت ٣٩٢هـ) هذه الحروف بصفة المصوتة^(٢٢)، وكذلك فعل أبو علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٨هـ) حيث صنف الحروف إلى صامتة ومصوتة^(٢٣)، وتابعهم في ذلك أبو عبد الله فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)^(٢٤). وسميت حروف المد لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها، فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت فيه وامتد، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصَلَب، ويقال لها أيضاً الحروف الجوفية والهوائية لأن مبدأ أصواتها من بداية الحلق، ثم ينطلق الصوت منه ماراً على كل خلاء الفم، وليس له حيز معين ينتهي عنده كسائر الحروف^(٢٥).

وقد اختارت هذه الدراسة اسم (الحروف المصوتة) على غيرها من التسميات التي يمكن أن تطلق عليها مثل (حروف المد) أو (الحروف الذائبة) أو (الحروف الجوفية) أو (الحروف الهوائية) وغير ذلك؛ بسبب أن صفة التصويت فيها هي التي أدت الدور الدلالي الذي تسعى الدراسة لإبرازه.

والحروف المصوتة أو حروف المد هي الألف الساكنة مفتوح ما قبلها ولا يكون قبلها إلا مفتوحاً، والواو الساكنة مضموم ما قبلها، والياء الساكنة مكسور ما قبلها^(٢٦).

ومخرج حروف المد الجوف؛ وهو عبارة عن التجويف أو الخلاء الممتد من فوق الحنجرة إلى الشفتين، الموازي للحلق واللسان عند فتح الفم، وهو ليس نقطة محددة بل مخرج مقدر^(٢٧).

المطلب الثاني: مد الحرف المصوت (السبب والعلّة).

المدّ في اللغة الجذب والمطلّ والزيادة، يقال: يمدّه مدّاً أي طوّله، ويقال: مدّدت الشيء إذا زدته، ومدّدت الأرض مدّاً إذا زدت فيها تراباً، والممدود الطويل^(٢٨).

والمدّ في الاصطلاح فقد عرفه عبد الوهاب القرطبي فيقول "أما المد فهو حكم يجب لحروف المد واللين إذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر"^(٢٩). وعرفه طاش كبري زاده بقوله: "هو طول زمان صوت الحرف"^(٣٠). وقيل هو: إطالة زمن صوت حرف المد إلى أكثر من حركتين عند ملاقاته همز أو ساكن^(٣١).

وقد عرض علماء التجويد لأنواع المد وهما: الأصلي والفرعي؛ فالأصلي هو الذي لا تقوم ذات حروف المد دونه وهو المد الطبيعي أو ما يعرف عندهم بالقصر، والفرعي فهو الذي يعرض زيادة على المد الطبيعي لموجب يوجب، وجعلوا له أنواع كثيرة فمنه اللازم ومنه العارض للسكون ومنه المتصل والمنفصل^(٣٢). ومرد هذه الأنواع يعود إلى الهمز والسكون كما ورد في التعريف الاصطلاحي، وما خلا ذلك فهو مد جائز بسبب السكون العارض؛ وهو خارج حيز هذه الدراسة.

أما عن العلة التي تجعل حرف المد يزداد طولاً عند ملاقاته الهمز والسكون، فقد عزاها العلماء إلى أمور؛ قال الزجاج (٣١١هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ): إن موجب تمكين المد ببيان الهمزة لا ببيان المدود، لأن الهمزة خفية، ومع خفائها ففي إخراجها كلفة؛ لأنها تخرج من الصدر كالسعلة لشدها ويُعد مخرجها، فقويت بتمكين المد في حرف المد قبلها. وزيادة تمكين المد مع الساكن فأجل النقاء الساكنين، فكان المد كالحركة، لأنه يتميز به أحدهما من الآخر^(٣٣). وقد ورد عن ابن جني (٣٩٢هـ)^(٣٤) تعليل مقارب، وكذا عن الداني (٤٤٤هـ)^(٣٥)، وعن عبد الوهاب القرطبي (٤٦١هـ)^(٣٦)، غير أن مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) خالف الجمهور في تعليل المد بسبب الهمز قائلاً: إن هذه الحروف خفية، والهمزة حرف جلد بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفاً خفياً خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاءً، فبين بالمد ليظهر^(٣٧).

وحاصل الفرق بين رأي جمهور علماء اللغة وعلماء التجويد من جهة ورأي مكّي بن أبي طالب من جهة أخرى هو أنهم عللوا المد بأنه جاء للحفاظ على الهمزة من أن تختفي، أما مكّي فقد علله بالخوف على حرف المد من الاختفاء. أما في المد بسبب السكون اللازم فقد اتفق الجميع على أن العلة هي إرادة الفصل بين الساكنين.

ولا يعني الاختلاف في تعليل ظاهرة ما الشك في وجودها، فسواء ثبتت صحة ما قاله جمهور علماء التجويد في تعليل ظاهرة المد أو ما قاله غيرهم فإن ذلك لا يغير شيئاً من أصالة المد في العربية عموماً وقراءة القرآن خصوصاً، فقد ذكر المد علماء العربية، ورواه علماء القراءات مشافهة، وأكدوا ذلك بأحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ تتضمن وصف قراءته ﷺ بالمد^(٣٨).

المطلب الثالث: المميزات الصوتية للحرف المصوت وعلاقته بالمعنى.

يتصف الحرف المصوت (حرف المد) بصفات عديدة تميزه عن باقي الحروف، ولعل فهم هذه الصفات هو ما يسوّغ إحساسنا بهذا الحرف. ومن أجل التوصل إلى ما يتصف به حرف المد لا بد من الوقوف على حقيقة علاقة هذا الحرف بالحركة التي هي جزء منه.

وأصل فكرة الربط بين حروف المد وبين الحركات يرجع إلى سيبويه الذي قال: "وإنما الحركات من الألف والياء والواو"^(٤٩) وقال في موضع آخر: "فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكل واحدة شيء مما ذكرت لك"^(٤٠)، وكذلك كان مذهب المبرد إذ يقول: "الفتحة من الألف والضمة من الواو والكسرة من الياء"^(٤١).

وأفاض ابن جني في شرح تلك الخلاصات المركزة الواردة في كلام سيبويه والمبرد في تحديد العلاقة بين حروف المد والحركات، فقال: "علم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه... فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات ومنشئة عنها، وأن الحركات أوائل لها، وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة"^(٤٢).

وقال عبد الوهاب القرطبي وهو يتحدث عن الواو والياء إذا كانا حرفي مد ولم يكن بعدهما همزة ولا حرف ساكن: "فإنبغي أن يلزم فيهما اجتناب الإفراط في الإشباع، والتحرز من إهماله بحيث يلتحقان بالحركة، مثل ما لزم في الألف، وقد مضى ذكره، وذلك بأن يُمكننا بمقدار ما فيهما من المد الذي هو طبعهما وخاصتهما، كقولك: ميعاد، وميقات... وما أشبه ذلك"^(٤٣).

"واستطاع علماء التجويد أن يضبطوا النسبة بين الحركة وحرف المد، بما يوضح أن الفرق بين الحركة وحرف المد الذي هي منه هو فرق في الكمية، وأن ذلك الفرق يمكن أن يقاس، وابتكروا طريقة لقياسه، وهي اعتبار الحركة أساساً للقياس، فقالوا: إن الألف مثلاً يساوي فتحتين، وعكس بعض العلماء المقياس فقالوا: الفتحة تساوي نصف الألف. وهذه الطريقة وإن لم تحدد كمية الحركة وحرف المد بالقياس إلى الزمن المتمثل بالتأني وأجزائها تعتبر خطوة متقدمة جداً في مجال قياس الأصوات وإدراك حقائق الأصوات الذاتية والعلاقة بين أنواعها"^(٤٤).

فبعد أن ثبت أن الحركة إنما هي بعض حرف المد وأن الفرق بينهما فرق في الكمية لا غير نستطيع أن نسحب كل ما يقال عن السمات الصوتية للحركة على حرف المد بل ربما كانت هذه الميزات أكثر وضوحاً وتكرساً في حرف المد بسبب طول الصوت وتمكنه فيه. وقد درس علماء الصوتيات صوت الحركة فقالوا: تعرف الحركة من الناحية الأكوستيكية^(٤٥) بأنها ظاهرة ناجمة عن تغير طولي في معدل سرعة الصوت. وكون التغير طولياً يعني أن التغير ناجم عن طريقة منشأ الصوت بحيث تكون سرعة التردد في الحركات مغايرة لسرعة التردد التي نلاحظها في الأصوات الأخرى (الصوامت)^(٤٦). وتتسم الحركات لذلك بقوة الوضوح السمعي؛ وهي القوة التي تنتم بها موجات الصوت بحيث يمكن أن يميز بأثر سمعي أقوى من الأثر السمعي الموجود في غيرها من الأصوات^(٤٧).

يعرف الوضوح السمعي بأنه طاقة الصوت النطقية التي تجعل الصوت واضحاً للسامع، غير ملتبس بغيره من الأصوات... وقد يلتبس أمر الوضوح السمعي بالشدة والعلو؛ فقد يظن أن الصوت الواضح سمعياً هو الصوت الشديد وليس الأمر كذلك بالضرورة، إذ قد يكون الصوت شديداً مع كونه غير واضح من الناحية السمعية^(٤٨).

ولكن الصفة التي يتصف بها حرف المد المصوت ومثله الحركة هي صفة الجهر؛ وقد قالها سيبويه (ت ١٨٠هـ) من قبل: وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت^(٤٩). وصفة الجهر هي الصفة التي تبرز الحرف على مستوى الوضوح الصوتي؛ فكما يقول

علماء الصوتيات: ومن المعلوم أن الصوت المجهور أوضح سمعياً من نظيره المهموس^(٥٠).
بناء على كل ما سبق، يمكننا القول بأن حرف المد (الحرف المصوت) صوت يتميز بقوة الوضوح السمعي من حيث النوع، ويتميز بامتداده الطويل من حيث الكم؛ حيث هو في أقصر حالاته (حركتين) يفوق في امتداده أي حرف من غير حروف المد. فحرف المد إذن يمثل زيادة لفظية واضحة في بنية الكلمة القرآنية، وهذا النوع من الزيادة في مبنى الكلمة لا يمكن إلا أن يفيد في تحقيق واستدعاء معنى إضافي يتناسب مع نوعه وكمه.

يقول أحد الباحثين في هذا الميدان: والمد بالصوت بين بني الإنسان له أسباب، بعضها معنوي أي يختص بالمعنى الذي يريد القائل إيصاله للسامع ومن ذلك: الاستغاثة مثل قولك (والأعمره) ... والندبة (والأحسرتاه)، والتعظيم كما في الأذان، والأمثلة كثيرة لا يتسع المقام لتفصيلها منها الدعاء، والرجاء، والإعجاب، والمبالغة، والتهويل، والتمثيل، وما شابه ذلك. أما المد اللفظي فيتعلق بأسباب تختص بمجاورة الألفاظ والحروف بعضها لبعض وما ينتج عن ذلك التجاور من أسباب تستدعي وجود المد. وإذا كان المد بالصوت في استخداماتنا الاعتيادية تحكمه إرادة الإنسان الخاصة، ومزاجه الشخصي، إلا أن المد في علم التجويد له أصول وقواعد^(٥١).

وإذا كان الباحث قد فصل نوعي المد المعنوي واللفظي عن بعضهما، فإن هذه الدراسة إنما جاءت للجمع بينهما في نطاق خاص؛ ففي حين يبرز صوت المد في الألفاظ القرآنية المتلاحقة بحيث يكون حضوره غالباً، وذلك على غير النمط المعتاد في بقية السياقات، فإن هذه الخصوصية اللفظية لا بد لها من ظلال وأداء معنوي خاص يتناسب معها، أوجده الله تعالى في كلامه؛ ليكون مزية تتعاقب فيها الأسباب اللفظية والمعنوية في آن معاً من أجل تحقيق مستوى من التأثير واستواء المعنى على نحو معجز يفتقر إليه هذا النوع من المعاني ويكتمل به. وكذلك يقال في السياقات القرآنية التي تتميز بغياب حروف المد المصوتة على نمط غير معتاد في بقية السياقات؛ لتتوالى الحركات مع توالي الحروف الصامتة بشكل لافت يبرص المعاني ويرصها في وعي وإدراك التالي والسامع رصاً له ما يسوّغه من خصوصية تلك المعاني.

ولدى البحث والتقصي عن كل ما قيل من آراء تمس هذا الحقل البحثي الدقيق، نجد من العلماء من أدلى بدلوه فيه؛ فهذا الملا علي القاري (١٠١٤ هـ) يقول: ولا يخفى أن المد ليس حرفاً ولا حركة بل زيادة على كمية حرف المد^(٥٢). ويقول الحمد معلقاً: وهذه ملاحظة ذات معنى بعيد في فهم حقيقة ظاهرة المد؛ فقول علي القاري أن المد ليس بحرف ولا حركة معناه أنه لا يؤدي إلى تغيير المعاني. فالحروف الذائبة في العربية لها درجتان من الطول؛ قصيرة وهي الحركات، وطويلة وهي حروف المد، وكل زيادة في مد الصوت بعد ذلك لا تؤدي إلى درجة ثالثة يكون لها شأن في تغيير المعنى، إنما تكون تلك الزيادة نوعاً من التأثير الناتج عن التركيب حين تقع حروف المد في سياقات معينة، وتكون زيادة المد مثل بقية الظواهر التي تلحق الأصوات في التركيب سواء أكانت جامدة أم ذائبة^(٥٣).

ولعل ما ذكره الملا علي القاري ثم تابع تحليله واستنباط المعاني منه الدكتور الحمد يتعلق بالتغير الصرفي للكلمات وما يترتب عليه من تغير معنوي؛ كالتغير الذي يحدثه الفرق الكمي بين قولنا (دَرَسَ) وقولنا (دَارَسَ) حيث أدى تحويل الحركة القصيرة (الفتحة) إلى حركة طويلة (حرف مد مصوت وهو الألف) وهو مجرد تغير كمي أيضاً - لكنه أدى إلى تغير في بنية الكلمة الصرفية ومن ثم تغير في معناها؛ فليس التغير الكمي الذي يحول الحركة إلى حرف مد - وليس هو محل هذه الدراسة - كالتغير الكمي الذي يحول حرف المد الطبيعي (ما يسمى بالحركة الطويلة) إلى حرف مد ممدود (ما يسمى بالحركة المطولة) - وهو محل هذه الدراسة كما سبق وتم التوضيح -.

ونجد قولاً آخر عند علماء الصوتيات يطرق المعنى بشكل مباشر؛ حيث قال استيتية: وترد الحركة المطولة (حرف المد الممدود) في نطاق القراءات القرآنية في الموقع الذي تكون فيه الحركة الطويلة (حرف المد الطبيعي) متبوعة بهمزة داخل بنية الكلمة كما في (سماء) و (أعداء) وما يسمى بالمد اللازم في ترتيل القرآن الكريم مساوٍ لمفهوم الحركة المطولة في عرف علماء الأصوات المعاصرين^(٥٤) ثم يتابع د. استيتية قوله: وثمة تساؤل يدور حول الحركة المطولة في العربية هل تغيير الحركة الطويلة إلى مطولة تغيير فونيمي^(٥٥) أم تغيير أوفوني^(٥٦)؟ إن الجواب عن هذا التساؤل مرتبط دون شك بعلاقة هذا التغيير بالدلالة؛ فإذا أدى هذا التغيير إلى دلالة جديدة فلا شك أنه تغيير (فونيمي). وإذا لم يؤد إلى إحداث تغيير في الدلالة فهو تنوع (أوفوني) ليس إلا. وقبل أن نحسم الجواب في هذه المسألة علينا أن ننبه إلى ضبط المتغيرات التي تعمل على إحداث تغيير في الدلالة بجانب طول الحركة، وذلك حتى يكون حكمنا على هذا التغيير حكماً صحيحاً... فإنك إذا أردت أن تعبر عن بعد شيء مشار إليه فإنك تقول: (هناااالك)، لا شك أن الإطالة قد حدثت، ولا شك أن التغيير في ظلال المعنى قد حدث، وقد يظن المتأمل لأول وهلة أن هذا التغيير تغيير فونيمي (في الدلالة) لا أوفوني (تنوع في الأداء لا يغير الدلالة). ولكن ينبغي أن يُعلم أن هناك عاملاً متغيراً آخر وهو الذي أحدث التغيير في الدلالة كما هو واضح من التطبيق الفعلي. هذا العامل هو تغيير التنغيم لا الحركة التي تحولت من طويلة إلى مطولة، وإن كان تغيير الحركة الطويلة لتصبح مطولة ما هو إلا تغيير أوفوني (لا يؤثر في الدلالة) لا تغيير فونيمي (يؤثر في الدلالة)^(٥٧).

وبناء على هذا الحكم الذي توصل إليه د. سمير نجده يقول في موضع آخر من كتابه^(٥٨): وتستعمل الحركة المطولة في البيئات اللغوية المختلفة، كألفون (لا يؤثر في الدلالة)، وذلك كما في مواقف الخطابة والنداء والغناء والتمثيل وغيرها من المواقف التي تحتاج إلى شيء من مد الحركة. وفي قراءة القرآن الكريم تتحول الحركة الطويلة إلى مطولة في بعض المواقع، وذلك على نحو ما هو معروف في أحكام الترتيل. فالحركة المطولة في مثل تلك السياقات تخدم مواقف وسياقات أدائية معينة.

ويبدو أن التغيير في المعنى الذي يقصده د. استيتية يختلف عن ذلك الذي اشترطه د. الحمد بعد تحليله لمقالة الملا علي القاري؛ ففي حين كان الحمد لا يعتد بأي تغيير كمي فوق حرف المد الطبيعي على صعيد التأثير في المعنى، نجد استيتية يقرّ بحدوث التغيير في الدلالة بين كلمة (هناك) ذات الحركة الطويلة وكلمة (هناااالك) ذات الحركة المطولة، لكنه يعود ويعزو سبب التغيير في الدلالة إلى التنغيم الذي حمله حرف المد الممدود لا إلى كونه ممدوداً. ولما كانت هذه الدراسة قد اتفقت مع ما ذهب إليه د. الحمد فيما استنبطه من مقولة الملا علي القاري، فإنها تختلف فيما تتبناه وتسعى إلى إثباته مع ما ذهب إليه د. استيتية؛ ذلك أن مستوى التغيير في الدلالة والمعنى الذي يحاول د. استيتية دراسته هو ذاته المستوى الذي تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء عليه؛ وهو التغيير في ظلال الكلمة الدلالية وليس التغيير الصرفي الذي يعمل على إزاحة معنى الكلمة إلى حيز جديد.

ولدى الرد على ما ارتآه د. سمير استيتية من أن التغيير من حركة طويلة إلى حركة مطولة ما هو إلا تغيير أوفوني (لا يؤثر على مستوى الدلالة) وليس تغييراً فونيمياً (يؤثر على مستوى الدلالة) يمكن أن يقال:

- إن قول د. سمير بأن الذي غير الدلالة إنما هو التنغيم وليس المد ليس مسلماً، لا سيما أن أحدهما (المد والتنغيم الخاص بالصوت الممدود) لا يمكن تصوره دون الآخر، وما دام دليل د. استيتية فيما وصل إليه هو ما يفهمه السامع من الكلام المحكي فإن أحداً لا يمد الحرف المصوت ليصبح حركة طويلة (أكثر من حركتين) دون أن يرتبط ذلك بتنغيم خاص

ليدل على معنى خاص فكيف يمكننا التسليم بأن الفاعل في التأثير على الدلالة هو التغميم وليس المد؟

• إن ما قام به د. استيتية من الجمع بين المواقف التي يمكن استعمال الحركة المطولة فيها من باب التنوع الأدائي، ومحاكمتها عقلياً على صعيد منطقي واحد لا يُسَلَّم؛ ذلك أن استعمال الحركة المطولة في الغناء يختلف عن استعمالها في الخطابة والتمثيل مثلاً فإذا كان تلحين الكلام يؤدي ببعض حروفه إلى المد بشكل منفصل عن المعنى - وإن كان هذا الافتراض لا يستقيم عند الملحنين الكبار - فاستعمال الحركة المطولة في الخطابة والتمثيل عادة ما يرتبط بإبراز معنى معين يعينه عليه هذا النوع من المد وعليه فلا يُسَلَّم بأن هذا الاستعمال للحركة المطولة كان بوصفها ألوفون (لا يؤثر في ظلال معنى الكلمة).

كل هذا في الرد على ما ذهب إليه د. استيتية فيما يتعلق بالكلام المحكي ولم نتعرض بعد لما يُفهم من قوله فيما يتعلق بقراءة القرآن الكريم؛ وهو أن الحركة المطولة في قراءة القرآن الكريم إنما تخدم مواقف وسياقات أدائية معينة على نحو ما هو معروف في أحكام الترتيل - ويقصد التجويد - بشكل لا يؤثر في ظلال الكلمة.

والجواب على ذلك هو؛ أن كل ما يمكن دراسته من أمثلة محكية، وما يمكن رصده منها في الاستعمال العامي أو الفصيح، وما يمكن الخروج به من نتائج من كل ذلك - لا يُقبل بحال سحبه على كلام الله تعالى المعجز؛ ذلك أن كلام الله تعالى بسياقاته وآياته ومقاطعته القصيرة وكلماته وحروفه وكيفية أداء ذلك كله بالتفصيل الدقيق إنما نزل وحدة واحدة غير قابلة للتجزئ. وما قال عنه د. استيتية من تحول الحركة الطويلة إلى مطولة في بعض المواقع من القرآن الكريم وذلك على نحو ما هو معروف في أحكام الترتيل - كما قال - ليس دقيقاً؛ ذلك أن أحكام التجويد إنما وضعت لاحقاً لتصف الكيفية الدقيقة في التلاوة التي وصلتنا عن طريق الوحي، وعليه فإن الحركة المطولة هذه إنما هي جزء من بنية الكلمة القرآنية التي لا يجوز تلاوتها إلا بحركة مطولة، وأن التقصير في أداء الحركة المطولة الواجبة - محل الدراسة - كالتقصير في الإتيان بأحد حروف الكلمة القرآنية فكلاهما لحنٌ جليٌّ يعاقب من ارتكبه عن قصد. وعليه، فالذي يليق تناوله من هذا الأمر بحثياً ليس هو دراسة أثر المد (الحركة المطولة) على معنى الكلمة القرآنية، وإنما دراسة أنماط المعاني التي حملتها الألفاظ القرآنية التي برزت فيها الحركات الطويلة والمطولة بشكل غالب في بنية الكلمة القرآنية - وهو محل هذه الدراسة -.

وفي اللغة العربية، فإن أي زيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، لذا فإن ورود بعض الألفاظ القرآنية بحركات مطولة (حروف مد ممدودة) بشكل واجب أو لازم ليدل على مزيد غناء في دلالة الكلمة، ومزيد رحابة في معناها المدرك وإيحائها المتخيّل.

وممن تحدث عن هذا الأمر مصطفى صادق الرافعي، حيث تناول الجانب الصوتي للكلمة القرآنية ودلالة الحركات الثلاث، وقال: إن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب تنويع الصوت^(٥٩). وقال في موضع آخر: إن لكل لفظ صوتاً ربما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه والذي تُساق له الجملة^(٦٠). وقال أيضاً: حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تُعْدَب ولا تُسأغ، وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبيًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاعت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة... وتذوق مواقع

الحروف وأجر حركاتها في حس السمع وتأمل^(٦١).

المبحث الثاني: المبحث التطبيقي.

المطلب الأول: الحروف المصوتة الغالبة.

وردت بعض النصوص القرآنية التي مثلت آية أو أقل من آية وبرزت فيها سمة الحضور الغالب للحروف المصوتة (حروف المد)، ولدى استقراء القرآن الكريم استقراءً ناقصاً، وجمع الأمثلة على ذلك، والنظر والتأمل في معانيها، تبين أنها تحمل معاني خاصة تتناسب مع هذا الحضور الغالب لحروف المد المصوتة على نحو ما هو مبين بعد كل مقطع قرآني في هذا المطلب؛ حيث تم أولاً إظهار مقدار حضور حروف المد المصوتة عبر تفكيكها إلى الحركات التي يمثلها كل حرف مد بحسب وضعه الطبيعي أو الممدود مدلاً لازماً أو واجباً وفق رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية التي التزمها هذا البحث؛ وقد تم هذا التفكيك من أجل دقة الضبط من جهة ومن أجل المقارنة بعدد الحركات على الحروف الصامتة التي تقابل حروف المد المصوتة في هذا البحث من جهة أخرى. ولا بد من ذكر أنه تم اعتماد الكتابة الصوتية التي تكتب فيها الكلمات بحسب نطقها لا بحسب قواعد الإملاء العربي المعتاد وهو ما يناسب هذا المقام. وقد اتضح بعد العد والمقارنة (الاستقراء الكامل لهذه الحركات) بأن حضور حروف المد في هذه الأمثلة العشرة التي تم اختيارها لهذا المطلب يكاد يوازي حضور بقية الحروف فيها وهو ما يمثل سمة خاصة لهذه المقاطع القرآنية لا تظهر عادة في نصوص القرآن الكريم.

المثال الأول: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

إِذْ وَجَدْنَا أُمَّةً يَبْتغُونَ نَذِيرًا عَلِيمًا وَأُمَّةً وَادَّةً عَلِيمَةً نَذِيرًا مَهْتَدًا

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٣٠) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٣٤) حركة.

تصف الآية منهجاً يتبعه مجمل الكافرين في حوارهم الديني حيث لا حجة لديهم ولا منهجاً يستمسكون به؛ وتعويضاً عن ذلك فإنهم يعمدون إلى تضخيم الحالة التي يقلدونها ويجعلون منها شيئاً يستحق الولاء والافتداء. ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ "من الأم وهو القصد،... والأمة: الحالة التي يكون عليها الأم وهو القاصد"^(٦٢).

وخصت الآية "المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر"^(٦٣) وجاء الحضور الغالب للحروف المصوتة من أجل التعويض عن حالة الفراغ الفكري التي يمثلها حوارهم ومن أجل تضخيم قدر حالة الآباء التي يقلدونها بدون دليل فعوضوا عن الدليل الفكري بالتضخيم الصوتي الذي أفاده الحضور الغالب للحروف المصوتة التي تتسم بقوة الوضوح السمعي.

المثال الثاني: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧].

لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (١٤) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (١٨) حركة.

والآية نزلت في ناس من الصحابة استأنذوا النبي ﷺ بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم، فلما كُتِبَ عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم^(١٤) هذه الجملة. وكان الله تعالى قد وصفهم في الآية ذاتها بأنهم لِيَحْشُونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً، ثم قال تعالى لرسوله الكريم بأن يخاطبهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ وهذا الكلام يذكر مع من كانت رغبته في الدنيا أكثر من رغبته في الآخرة^(١٥). من هنا علم بأن الرغبة القلبية الداخلية عندهم تنزع نحو إبعاد هذا القتال أمداً بعيداً، غير أن الاعتبارات المحيطة من نزول الأمر الإلهي الأنف، وتاريخهم المليء بالبطولات حيث كانوا يبادرون بطلب قتال الكفار دوماً، كل ذلك أخرج موقفهم فاضطروا إلى القول بأنهم يرغبون بالتأخير إلى أجل قريب ليس إلا، ولكن هيهات فقد كشفتهم الحروف المدية المصوتة التي غلب حضورها في النص؛ ليشير إلى رغبتهم بالتأخير إلى أجل بعيد وليس قريباً.

المثال الثالث: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتِكَ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (١٤) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (١٨) حركة.

والآية فيها أمر للرسول بإنذار الظالمين من هول يوم القيامة الذي يأتيهم فيه العذاب فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ربنا أَخْرْنَا العذاب عنا، وردنا إلى الدنيا، وأمهلنا إلى أجل من الزمان قريب، نتدارك ما فرطنا، بإجابة دعوتك إلى التوحيد واتباع الرسل^(١٦). ولعل الذي سوغ غلبة حضور حروف المد المصوتة هو رغبتهم في الاستعطف وتطويل أمد المحاولة؛ لكي يستصحبوا الشعور بالأمل أطول زمن ممكن قبل أن يأتيهم الرد الميئس من إجابة مطلبهم.

المثال الرابع: ﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٣٠) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٨) حركة.

والآية تصف حال سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- مع قومه؛ حيث إنهم جادلوه وخاصموه في أمر التوحيد؛ تارة بإيراد أدلة فاسدة واقعة في حضيض التقليد، وأخرى بالتهديد والتخويف. والمحااجة هي المجادلة والمغالبة في إقامة الحجة، وهي كل ما يدلي به أحد الخصمين في إثبات دعواه أو رد دعوى خصمه.

وقد رد عليهم إبراهيم رداً قويا جريئاً فقال لهم: أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ أَي أَتُجَادِلُونِي فِي شَأْنِهِ -تعالى- وفي أدلة وحدانيته، والحال أنه -سبحانه- قد هداني إلى الدين الحق وإلى إقامة الدليل عليكم بأنه هو المستحق للعبادة. والاستفهام للإنكار والتوبيخ وتبيينهم من رجوعه إلى معتقداتهم. وجملة وَقَدْ هَدَانِ حال مؤكدة للإنكار أي لا جدوى من محاجتكم إياي بعد أن هداني الله إلى الطريق المستقيم^(١٧).

وما أفادته حروف المد المصوتة الغالبة في هذه الآية إظهار طول محااجة الكفار لإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- عبر المد اللازم (ست حركات) بما لا يوصل إلى نتيجة، وشدة إنكاره -عليه الصلاة والسلام- ذلك عليهم وتوبيخه لهم عبر الاستفهام الإنكاري الذي سبق المد اللازم الثاني لست حركات أخرى، وعبر باقي ما ورد من مدود.

الهاء؛ وأصله يهتدي فأدغم وكسرت الهاء لالقاء الساكنين أي لا يهتدي بنفسه فضلاً عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى، وإنما نُفي عنه الاهتداء مع أن المفهوم مما سبق نفي الهداية لما أن نفيها (الهداية) مستتبعٌ لنفيه (الاهتداء) فالاستفهامُ للإلزام^(٧٠).

وللتعبير عن هذه المستويات المترابطة من الحجج التي تلزمهم ولا يستطيعون لها جواباً جاءت حروف المد المصوتة؛ لتضج بالعجب من حالهم.

المثال الثامن: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: ١٠].

ثُمَّ كَ... ن ع... قبة للذ... ن أس... وس... أ... أ...

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (١٨) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (١٩) حركة.

والآية مع ما قبلها فيها إخبار عن مقدار السوء الذي ارتكبه الأمم التي كفرت بآيات الله واستهزأت بها فعاقبهم الله تعالى بالدمار في الدنيا ثم كانت العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة، وهي جهنم التي أعدت للكافرين. و{السؤاى} تأنيث الأسوأ وهو الأفيح، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن^(٧١).

والحروف المصوتة الغالبة في جملة ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَىٰ﴾ تدل على المقدار البالغ من السوء الذي ارتكبه أولئك القوم، كما وتدل على تناسب عاقبتهم في السوء البالغ مع فعلهم؛ فتعاضدت كلمة {السؤاى} التي هي لأشد التقبيح مع صوت المد الذي يكرس شعور التقبيح في نفس التالي والسامع.

المثال التاسع: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] وفي [الحج: ٢٢].

كَلَّمَ... أ... د... د... أن يخرج... منه... أع... د... ف... ها

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٢٢) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٢) حركة.

سياق الآيات يفرق بين حال المجرم والمؤمن ويبين أنهما لا يستويان على سبيل التفصيل، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى، والذين فسقوا فأماهم النار، وهنا تأتي الجملة التي نحن بصدد الحديث عنها: كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاباً كذبتم به من قبل، أما في الدنيا فبقولكم لا عذاب في الآخرة، وفي الآخرة فبقولكم لا عذاب فوق ما نحن فيه، ففيها إشارة إلى أن الإله لا يسكن عنهم بل يرد عليهم في كل حال أمر مؤلم يجدد الألم^(٧٢).

وجاءت حروف المد المصوتة؛ لتفسح المجال لتخيل محاولات الخروج اللانهائية في الكم والنوع، ومقابلة ذلك بالإعادة إلى النار في كل مرة دون أدنى أمل بنجاح أي محاولة.

المثال العاشر: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القم: ١١].

ففتحن... أب... ب... سم... بم... ع

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (١٤) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (١٦) حركة.

ومعنى الآية أن الله تعالى قد فتح أبواب السماء أي طرفها بماء منهمر، والمهمر الصب يقال همره ويهمره صبه فانهمر، أي: انسكب وسال والمعنى بماء كثير منصباً انصباباً شديداً كما ينصب من أفواه القرب لم ينقطع مدة طويلة

وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها سواء أجعل الباء في قوله بماء للاستعانة وجعل الماء كالآلة لفتح أبواب السماء وهو ظاهر أو للملابسة^(٧٣).

والصورة في الآية تدل على سعة رقة السماء التي ينهمر منها الماء وهو ما سيحدث الطوفان، وتدل على كثرة الماء المنسكب من كل بقعة، ثم كلمة منهمر تدل على سرعة الهطول وشدته. والحضور الغالب لحروف المد المصوتة يدل على امتداد واتساع وكثرة، ثم اختفت حروف التصويت فجأة عند كلمة منهمر التي تدل على السرعة والشدّة في الهطول.

المطلب الثاني: الحروف المصوتة الغائبة.

وردت بعض النصوص القرآنية التي مثلت آية أو أقل من آية وبرزت فيها سمة الغياب اللافت للحروف المصوتة (حروف المد)، ولدى استقراء القرآن الكريم استقراءً ناقصاً، وجمع الأمثلة على ذلك، والنظر والتأمل في معانيها، تبين أنها تحمل معاني خاصة تتناسب مع هذا الغياب اللافت لحروف المد المصوتة على نحو ما هو مبين بعد كل مقطع قرآني في هذا المطلب؛ حيث تم أولاً إظهار مقدار حضور حروف المد المصوتة عبر تفكيكها إلى الحركات التي يمثلها كل حرف مد بحسب وضعه الطبيعي أو الممدود مدلاً لازماً أو واجباً وفق رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية التي التزمها هذا البحث؛ وقد تم هذا التفكيك من أجل دقة الضبط من جهة ومن أجل المقارنة بعدد الحركات على الحروف الصامتة التي تقابل حروف المد المصوتة في هذا البحث من جهة أخرى. ولا بد من ذكر أنه تم اعتماد الكتابة الصوتية التي تكتب فيها الكلمات بحسب نطقها لا بحسب قواعد الإملاء العربي المعتاد وهو ما يناسب هذا المقام. وقد اتضح بعد العد والمقارنة (الاستقراء الكامل لهذه الحركات) بأن حضور حروف المد في هذه الأمثلة العشرة التي تم اختيارها لهذا المطلب يكاد يمثل نسبة الربع أو أقل من حضور بقية الحروف فيها وهو ما يمثل سمة خاصة لهذه المقاطع القرآنية لا تظهر عادة في نصوص القرآن الكريم.

المثال الأول: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِي بِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَذَلِكُنَّ أَكْثَرُ غَوَاةٍ وَمَا يَكْفُرُونَ بِهِمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٨].

ذَلِكَ بَيْنَ رَبِّكَ وَبَيْنَكَ أَيُّمٌ لِأَجْلِينَ قَضِيَتْ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٨) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٣٥) حركة.

والمعنى، أي: ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائمٌ وثابتٌ بيننا جميعاً لا يخرج عنه واحداً منّا لا أنا عما شرطت عليّ ولا أنت عما شرطت عليّ نفسيك وقوله تعالى: ﴿أَيُّمًا الْأَجْلِينَ﴾ أي أكثرهما أو أقصرهما ﴿قَضِيَتْ﴾ أي: وفيئته بأداء الخدمة فيه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ تصريح بالمراد وتقرير لأمر الخيرة، أي: لا عدوان عليّ بطلب الزيادة على ما قضيته من الأجلين. أي: كما لا أطلب بالزيادة على العشر لا أطلب بالزيادة على الثماني^(٧٤).

والغياب اللافت للحروف المصوتة في هذا النص القرآني متعلق بطبيعة المعنى الذي يحملها؛ حيث هو عبارة عن منظومة من الاشتراطات المرتبط بعضها ببعض الآخر، وهو أشبه ما يكون بالنص القانوني؛ حيث تكون الكلمات محسوبة

بدقة متاهية لتوصل معاني محددة لا تزيد ولا تنقص، كما لا تقبل هذه النصوص دخول الخيال أو حتى تعدد الأفهام فيها، كما لا داعي لاستثارة العاطفة فيها وكل ذلك يعين عليه تلاحق الحروف الصامتة دون الفصل بينها بالحروف المصوتة (المدية) إلا بحدده الأدنى.

المثال الثاني: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَنْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١].

فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ خَلْفًا وَأَصْلَبَنَنْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى: بن وأبق:

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (١٢) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٧١) حركة.

تصف الآية رد فعل فرعون على إيمان السحرة مع موسى -عليه الصلاة والسلام- حيث ألقى شبهة بقوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر يعني أنكم تلامذته في السحر فاصطلحتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لأمره وتفخيما لشأنه، ثم بعد إيراد الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيراً لهم عن الإيمان وتنفيراً لغيرهم عن الاقتداء بهم في ذلك فقال: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف؛ والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وقوله لأصلبكنم في جذوع النخل شبه فيه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل، ثم قال: ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى؛ أراد نفسه وموسى ﷺ. وفيه تصالف باقتداره وقهره وما ألفه من تعذيب الناس بأنواع العذاب. فإن قيل: إن فرعون مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية بتلك العظمة وعجزه عن دفعه كيف يعقل أن يهدد السحرة وبيالغ في وعيدهم إلى هذا الحد ويستهزئ بموسى ﷺ في قوله: أينا أشد عذاباً وأبقى؟ قلنا: إنه كان في أشد الخوف في قلبه إلا أنه كان يظهر تلك الجلادة والوقاحة تمشياً لناموسه وترويجا لأمره^(٧٥).

ولعل خلو النص القرآني من حروف المد المصوتة بهذا الشكل اللافت له علاقة بتلك الحالة النفسية من الخوف والرعب عند فرعون؛ مما أدى به إلى أن يحرص الكلام رسماً لا يسمح بافتضاح تسارع نبضات قلبه وارتجاج صوته؛ فلم يعط فرصة فراغ واحد يسمح بإعمال التأمل أو الملاحظة عند المتلقين مخافة أن يكشفوا أمر انهياره الداخلي؛ بل شغلهم بألوان التهديد المتلاحق الذي يقطع الأنفاس ويشل التفكير.

المثال الثالث: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [التقصص: ٢٠].

إِنَّ لَمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٤) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٥) حركة.

ومعنى الآية أن الرجل جاء يسرع في مشيه قائلاً: يا موسى! إن الوجوه من الناس والأشراف، يأتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ؛ أي يهَمُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ^(٧٦) فخرج. ودليل المستوى العالي من خطورة الموقف هو استجابة موسى -عليه الصلاة والسلام- السريعة؛ حيث خرج من المدينة خائفاً من الظالمين، مترقباً لحوقهم به وإدراكهم له، داعياً ربه بأن ينجيه منهم وبأن يرشده نحو الطريق المستوية إلى مدين حيث لا يصل سلطان فرعون إلى هناك^(٧٧).

وحالة الخوف الشديد والحيرة والحذر عاليي المستوى الذي حكم تصرف موسى -عليه الصلاة والسلام-، لم يأت من مجرد الجملة التي قالها الرجل المخلص الناصح؛ بل جاءت من الحالة النفسية المرافقة للكلام، والتي انعكست على تنعيم

الكلام، وعلى طبيعة الألفاظ التي اختارها ليوصل المعنى؛ حيث خلت هذه الألفاظ من حروف المد المصوتة بشكل لاقت لمزيد كسب الوقت ولمزيد الإشعار بالخطر الداهم.

المثال الرابع: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٨، ١٩].

أَنْ رَسُوْلُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا.

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٦) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٣) حركة.

الموقف الإنساني الرباني الذي نقلته هذه الآيات موقف مركب فريد، ليس مما هو داخل في خبرات البشر ومعارفهم. السيدة مريم البتول تمر بإرهاصات وظروف استثنائية غريبة؛ لعل أعلاها حتى اللحظة مباغتتها من قبل رجل غريب في مكان منقطع وها هو ينكلم إليها؛ فكان رد فعلها ممثلًا بالاستعطاف حيث استعادت بالرحمان؛ وذكر عنوان الرحمانية للمبالغة في العياد به تعالى، واستجلاب آثار الرحمة الخاصة، التي هي العصمة مما دهمها، وقولها: إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا أَي: إِنْ كُنْتُ تَتَّقِي اللَّهَ فَتُبَالِي اللَّهَ فَتُبَالِي بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ. فكان رد الملك معناه: أَي: لَسْتُ مِمَّنْ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ مَا تَوَهَّمْتَ مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنْ اسْتَعَدْتَ بِرَحْمَانِيَّتِهِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا أَي: لِأَكُونَ سَبِيًّا فِي هَبَةِ الْغُلَامِ. والتعريض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها، والإشعار بعلية الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها. وقوله: زَكِيًّا أَي: طَاهِرًا مِنَ الْعُيُوبِ صَالِحًا^(٧٨).

إن جواب الملك الذي كانت تنقطع أنفاس البتول في انتظاره كان لا بد أن يكون سريعاً حاسماً، بسبب حالتها النفسية من جهة، وبسبب تركيب وخطورة وخصوصية ما انضوى عليه هذا الجواب من حقائق من جهة أخرى؛ فكان لا بد من طي كل هذا في جملة واحدة، تنزع بالسيدة مريم المؤمنة إلى اليأس من المجادلة والتسليم لأمر الله تعالى. فاقتضى المقام أن تخلو الجملة من حروف المد المصوتة بشكل لاقت رعاية لكل هذا.

المثال الخامس: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٦) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٥) حركة.

هذه الآية جزء من المناظرة التي دارت بين العفريت من الجن من جهة والذي عنده علم من الكتاب؛ وهي ترمز إلى أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة، فذكر في هذه القصة مثلاً لتغلب العلم على القوة. ولما كان هذان الرجلان مسخرين لسليمان كان ما اختصا به من المعرفة مزية لهما ترجع إلى فضل سليمان وكرامته أن سخر الله له مثل هذه القوى. ومقام نبوته يترفع عن أن يباشر بنفسه الإتيان بعرض بلقيس الذي أراده.

وارتداد الطرف حقيقته: رجوع تحديق العين من جهة منظورة تحول عنها لحظة. وعبر عنه بالارتداد؛ لأنهم يعبرون عن النظر بإرسال النظر فكان الارتداد استعارة مبنية على ذلك. والظاهر أن قول العفريت: قبل أن تقوم من مقامك وقول الذي عنده علم من الكتاب: قبل أن يرتد إليك طرفك مثلان في السرعة والأسرعية^(٧٩).

ولعل هذا القدر من السرعة الذي فاق سرعة عفريت الجن اقتضى تعبيراً يتناسب معه بألفاظ كان لا بد أن تخلو بهذا القدر اللافت من حروف المد المصوتة.

المثال السادس: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَيْدًا فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ * وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

[الشعراء: ١٨، ١٩].

وفعلت فعلتك للذَّ . فعلت وأنت من لك . فر . ين

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٦) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٨) حركة.

هذا فرعون يعدد نعماءه على موسى - عليه الصلاة والسلام - أولاً: من تربيته وإبلاغه مبلغ الرجال، ثم بتوبيخه بما جرى على يديه من قتل أحد خواصه، ويكون موسى - عليه الصلاة والسلام - بهذا قد كفر نعمته وجدد فضله^(٨٠).

ولنا أن نتخيل فرعون بصلفه وجلافته وهو يشير بإصبعه المتكبر في وجه موسى - عليه الصلاة والسلام - مشعراً إياه بخطورة ما فعل من القتل، وعظم ما ارتكب من الجرم، دون أن يفسح له مجالاً لمقاطعته والدفاع عن نفسه. وهو أسلوب توبيخي احتاج فيه إلى الطرق بشكل متتال لتكون الكلمات كالمصواعق النازلة.

المثال السابع: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ اقْدِفِي فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْمِ فَلْيُلْقِهِ الْبَيْمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ

لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مَنِيٌّ وَلِتُنْصَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٨، ٣٩].

أن قُذِفَ . . . في تَ . . . ب . . . تُت قذِفَ . . . ه ف لِيَمَ فليلقه لِيَمَ بَسَ . . . حل يأخذه عدوٌّ ل . . . وعدوٌّ له

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (١٢) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٥٥) حركة.

والآية تصف موقف أم موسى - عليه الصلاة والسلام - حيث ألهمها الله تعالى بما ينبغي فعله تخليصاً لوليدها من خطر القتل حيث كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل. ومعنى القذف في الثابوت هو الوضع، والقذف في اليم فالإلقاء، وفي جملة ﴿فَلْيُلْقِهِ الْبَيْمُ بِالسَّاحِلِ﴾ فلأن إلقاء البحر إياه بالساحل أمر واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك، وأخرج الجواب مخرج الأمر. وجملة ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ جواب للأمر بالإلقاء. وتكرير العدو؛ للمبالغة. والتصريح بالأمر للإشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره، بل تؤدي إلى المحبة؛ فإن الأمر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعراً بأن هناك لطفاً خفياً مندرجاً تحت قهرٍ صوري.

وهذه الأوامر والأحداث المتلاحقة الزاخرة بالانفعال والخطورة والدقة والغرابية لا تحتمل أي نوع من التأمل أو التخيل أو التردد أو التأخر؛ وهو ما يقتضي تلاحق الألفاظ والحروف والكلمات بما لا يناسبه إلا خلو النص من حروف المد المصوتة.

المثال الثامن: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي

دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٤، ٩٥].

أَل . . . بعدن لمدين كم . . . بعدت ثم . . . د

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٦) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٠) حركة.

معنى الآية؛ أن من يمر على أهل مدين بعد ذلك فكأنهم لم يكن لهم وجود، والغناء، أي: الإقامة في مكان إقامة تغنيك عن الذهاب إلى مكان آخر، وتنتوطن في هذا المكان الذي يغنيك عن بقية الأماكن. فكأنهم لم يقيموا هنا، ويستغنوا بهذا المكان عن أي مكان سواه. وكلمة (ألا) أداة استفتاح ليلتفت السامع وينصت، فلا تأخذ غفلة عن الأمر المهم الذي يتكلم

به المتكلم، وكلمة (بُعْدًا) ليست دعاءً على أهل مدين بالبعد؛ لأنهم هلكوا بالفعل، ولكنها تدل على البعد الذي لا لقاء بعده إلا حين يجمع الحق -سبحانه- الناس يوم القيامة، وقد حَصَّ الحق -سبحانه- ثمود بالذكر هنا؛ لأن الصيحة كما جاءتهم فقد جاءت لثمود، وبذلك اتفقوا في طريقة العذاب^(٨١). فأفاد ذلك البعد من رحمة الله تعالى لمدين كما بعدت ثمود^(٨٢). وبهذه الجملة التي فيها توصيف ولفت وإعلان عن أسوأ نتيجة يمكن أن تتوَل إليها أمة من الأمم، بعد أن أخذت كل الفرص التي أمكنتها من الإيمان بالله تعالى لو أرادت، كان الإعلان عن ذلك بجملة مقتضبة أعلنت المصير المحتوم لتلك الأمة، فناسب أن تخلو من حروف المد المصوتة لما تحمل من حسم وغضب وإبعاد.

المثال التاسع: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].
قضي بلحق وخسر هنالك لمبطل.

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٤) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (٢٢) حركة. وهذا جواب اقتراحهم الآيات عناداً؛ يعني: إنا قد أرسلنا كثيراً من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية إلا بإذن الله، وإلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة؛ وهو وعيد ورد عقيب طلبهم واقتراحهم الآيات ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: المعاندون الذين اقترحوا الآيات عناداً^(٨٣). فبعد هذا الصلف وقلة التهذيب في التعامل مع الله تعالى ورسوله -صلوات الله عليهم- وآيات الله تعالى التي تقتضي الخشوع والإخبات، اقتضت الحالة أن يكون الجواب بكل هذا الاقتضاب الذي فيه ازدياء لهم كونهم لا يستحقون الآيات وفوق ذلك لا يستحقون إعطاءهم مزيداً من القدر؛ فبجملة واحدة مقتضبة تم حسم أمرهم.

المثال العاشر: ﴿وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٢].
فلتقمه لحدوت وهو ملهم.

بلغ عدد الحركات في أحرف المد (٤) حركة، بينما بلغ في باقي الحروف (١٥) حركة. إن يونس -عليه الصلاة والسلام- لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله، فركب السفينة فوقفت فقالوا: ها هنا عبد أبق فافترعوا فخرجت القرعة عليه، فقال أنا الأبق ورمى بنفسه في الماء. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ، أي: ابتلعه؛ من اللقمة. وَهُوَ مُلِيمٌ؛ أي داخل في الملامة، أو أت بما يلام عليه^(٨٤). ولعل السرعة الفائقة في ابتلاع الحوت لنبي الله يونس -عليه الصلاة والسلام- قبل أن يغرق، هي ما اقتضت هذا التلاحق في الحركات دون الفصل بحروف المد المصوتة مما أبرز الحركة المثيرة في المشهد.

الخاتمة.

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- ورود الحروف المصوتة (حروف المد) لا يكون مرتبطاً بسبب لفظي معزول عن المقتضيات في المعنى كما يتوهم البعض، بل إنه من متمات البنية اللفظية للكلمة، وهذه الميزة بشكلها الأبرز تمثلت في ألفاظ القرآن الكريم.

- الحضور الغالب للحروف المصوتة (حروف المد) عادةً ما يرتبط بنمط خاص من المعاني التي تقتضي هذا الحضور كالتضخيم أو التأخير أو التكاثر أو التطويل وغيرها من المعاني التي تتناسب هذا الأمر.
- الغياب اللافت للحروف المصوتة (حروف المد) عادةً ما يرتبط بنمط خاص من المعاني التي تقتضي هذا الغياب كالتهديد والتوبيخ والاشتراط والتبئيس والازدراء والإشعار بالسرعة أو الإيحاء بسرعة التنفيذ.

الهوامش.

- (١) أخذ حفص روايته عن عاصم عن عبد الله بن حبيب (هو أبو عبد الرحمن السلمي) عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب جميعهم عن النبي ﷺ. كما قرأ عاصم على زر بن حبيش عن علي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود ثلاثتهم عن النبي ﷺ. محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ج ١، ص ٢٥٤. ومحمد بن محمد بن يوسف بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، الأردن، دار الفرقان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، (ط ١)، ص ١١٩. وعبد الفتاح القاضي، تاريخ القراء العشرة ورواتهم، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (ط ١)، ص ٢٧-٢٩.
- (٢) أبو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤، ج ٢، ص ١٥٤.
- (٣) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٥٤.
- (٤) تقارب، ينظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، (ط ٣)، ج ١، ص ٥٢٦، كتاب الباء، فصل الصاد، مادة (صقب).
- (٥) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٤٧.
- (٦) المرجع السابق، ج ١، ص ٣١٣.
- (٧) الفخر الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، (ط ٣)، ج ١، ص ٣٣.
- (٨) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ج ٣، ص ٢٩٩.
- (٩) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، الكويت، دار القلم، ١٩٥٧م، ص ١٠٣.
- (١٠) المرجع السابق، ص ١٢٧-١٣٠.
- (١١) مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤، ج ١، ص ٦٨.
- (١٢) أبو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، سر صناعة الإعراب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، (ط ١)، ج ١، ص ٣٣.
- (١٣) شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (ط ٢)، ص ٣٥.
- (١٤) محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، دار النشر الإسلامية، تعليق وضبط: محمد طلحة بلال، ص ٢٧-٢٨.
- (١٥) أي بدون مد في كلمة {الفقراء}.
- (١٦) سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، القاهرة، مكتبة ابن تيمية،

- (ط) ٢، ج ٩، ص ١٣٧، حديث رقم (٨٦٧٧)، وقال الألباني: وهذا إسناد رجاله موثقون غير موسى بن يزيد الكندي، فإنني لم أعرّفه ولا ذكره الحافظ المزني في شيوخ ابن خراش في "التهذيب"، وقد ذكره الهيثمي في المجمع من طريق الطبراني، لكن وقع فيه "مسعود بن يزيد الكندي"، وقال عقبه: "رجالهم ثقات" وفي ثقات ابن حبان مسعود بن يزيد، يروي عن ابن عمر، روى عنه محمد بن الفضل. وقال ابن الجزري: هذا الحديث حجة ونص في هذا الباب رجاله إسنادهم ثقات، ينظر: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف، ٢٠٠٢م/١٤٢٢هـ، (ط) ١، ج ٥، ص ٢٧٩، وينظر: شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (توزيع دار الكتب العلمية)، ج ١، ص ٣١٥-٣١٦.
- (١٧) الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، ج ٧، ص ١٤٦.
- (١٨) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ١٩.
- (١٩) سيبويه، عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، الخانجي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (ط) ٣، ج ٤، ص ١٧٦.
- (٢٠) المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت، عالم الكتب، ج ١، ص ٦١.
- (٢١) المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٠-٢١١.
- (٢٢) ابن جنّي، الخصائص، ج ٣، ص ١٢٧.
- (٢٣) الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد الطيان، يحيى علم، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص ٨٤-٨٥.
- (٢٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١، ص ٤٣.
- (٢٥) فريال زكريا العبد، الميزان في أحكام تجويد القرآن، القاهرة، دار الإيمان، ص ٥٧. وينظر: أحمد شكري وآخرون، المنير في أحكام التجويد، عمّان-الأردن، المطابع المركزية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، (ط) ٢٢، ص ١٢.
- (٢٦) ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص ٢٨. وينظر: شكري وآخرون، المنير، ص ٤٤.
- (٢٧) غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الأردن، دار عمار، ٢٠٠٧م، (ط) ٢، ص ٣٠٩.
- (٢٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٩٦-٣٩٧، باب الدال فصل الميم مادة (مَدَد). مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم عرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (ط) ٨، ج ١، ص ٣١٨-٣١٩، باب الدال فصل الميم مادة (مَدَد).
- (٢٩) القاسم عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ)، الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الأردن، دار عمار، ٢٠٠٠م، (ط) ١، ص ١٢٨.
- (٣٠) عصام أبو الخير طاش كبرى زاده، شرح المقدمة الجزرية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ٢١٠.
- (٣١) أحمد محمود عبد السميع الحفيان، الوافي في كيفية ترتيب القرآن الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، (ط) ١، ص ٥٢. وينظر: صفوت محمود سالم، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، جدة، دار نور المكتبات، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (ط) ٢، ج ١، ص ٧٥.

- (٣٢) عبد الدائم الأزهرى (ت ٨٧٠هـ)، الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، تحقيق: نزار عقراوي، عمان - الأردن، دار عمار، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (ط١)، ص ١٨٩. وينظر: عبد الفتاح المصرفي (ت ١٤٠٩هـ)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المدينة المنورة، مكتبة طيبة، ج ١، ص ٢٦٩-٢٧٠، العبد، الميزان في أحكام تجويد القرآن، ص ١٧٠-١٧١.
- (٣٣) علي أبو الحسن علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، جمال القراءة وكمال الإقراء، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابية، دمشق، دار المؤمن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (ط١)، ص ٦٣١.
- (٣٤) ابن جنّي، الخصائص، ج ٣، ص ١٢٨.
- (٣٥) أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، التحديد في الإتيان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، بغداد، دار الأتبار، ١٤٠٧هـ-١٩٨٨م، (ط١)، ج ١، ص ١٢٣.
- (٣٦) عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص ١٢٨.
- (٣٧) مكي، الكشف عن وجوه القراءات، ج ١، ص ٤٦.
- (٣٨) الحمد، الدراسات الصوتية، ص ٤٤٦.
- (٣٩) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ١٠١.
- (٤٠) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٤٢.
- (٤١) المبرد، المقتضب، ج ١، ص ٥٦.
- (٤٢) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٣٣-٣٦.
- (٤٣) عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص ١٢١.
- (٤٤) الحمد، الدراسات الصوتية، ص ٢٩٨.
- (٤٥) الأكوستيكية: هي فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المنكمل إلى السامع. ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ١٩.
- (٤٦) ينظر: J.Catford.Fundamental Problems in Phonetics. Indiana University Press, 1977,166.
- (٤٧) سمير شريف استنبية، الأصوات اللغوية، الأردن، دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٧.
- (٤٨) المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧١.
- (٤٩) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ١٧٦.
- (٥٠) استنبية، الأصوات اللغوية، ص ١٨٩.
- (٥١) العبد، الميزان في أحكام تجويد القرآن، ص ١٦٦.
- (٥٢) ملا علي القاري، المنح الفكرية، ص ٤٥، نقلا عن الحمد، الدراسات الصوتية، ص ٤٤٠.
- (٥٣) الحمد، الدراسات الصوتية، ص ٤٤٠.
- (٥٤) استنبية، الأصوات اللغوية، ص ٢٥٩-٢٦٠.
- (٥٥) علم الفونيم: هو العلم الذي يعالج الخصائص الصوتية الوثيقة الصلة بلغة معينة من وجهة إحساس المتكلمين، وهو يشتمل إما على صوت واحد (فون phone) أو (صوت موضوعي) أو يشتمل في الغالب على مجموعة من الألفونات المتشابهة أو (التنوعات الصوتية) التي يتوقف استعمال كل منها على موقعه في الكلمة (أول - وسط - أخير) وعلى الأصوات المجاورة له. ينظر: باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م، (ط٨)، ص ٨٨. ويمكن القول بأن الفونيم هو الصورة العقلية للصوت.

- (٥٦) الألوфон: هو الصورة الواقعية للفونيم، تلك الصورة يحكمها السياق الصوتي الذي يرد فيه الفونيم. ويمكننا أن نعتبر مصطلح (حرف) في اللغة العربية مقابلاً لمصطلح (فونيم) في اللغة الانجليزية ويمكننا أن نعتبر مصطلح (صوت) في اللغة العربية مقابلاً لمصطلح (ألوфон) في اللغة الانجليزية. النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، عمان الأردن، جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦هـ، (ط١)، ص ١٢٠-١٢١.
- (٥٧) المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥، بتصريف.
- (٥٨) المرجع السابق، ص ٢٥٣.
- (٥٩) مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، (ط٨)، ص ١٤٩.
- (٦٠) المرجع السابق، ص ١٥٥.
- (٦١) المرجع السابق، ص ١٥٦.
- (٦٢) أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، (ط٣)، ج ٤، ص ٢٤٥.
- (٦٣) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ، (ط١)، ج ٤، ص ٦٣٢.
- (٦٤) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٥٠٧.
- (٦٥) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١٠، ص ١٤٣.
- (٦٦) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٥م، (ط١٨)، ج ١، ص ٣٧٠.
- (٦٧) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر، (ط١)، ج ٥، ص ١١٣-١١٤. بتصريف.
- (٦٨) محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ١١، ص ٢٧٥.
- (٦٩) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوش (ت ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج ٣، ص ٢١٥٢.
- (٧٠) أبي السعود العمادي محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٤، ص ١٤٤ بتصريف.
- (٧١) الزمخشري، الكشف، ج ٣، ص ٤٧٠. بتصريف.
- (٧٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٥، ص ١٤٨. بتصريف.
- (٧٣) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت ١١٢٧هـ)، روح البيان، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الفكر، ج ٩، ص ٢٧٢.
- (٧٤) أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص ١٠. بتصريف.
- (٧٥) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ٧٦. بتصريف.
- (٧٦) ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، غريب القرآن، ترجمة: سعيد اللحام، ج ١، ص ٢٨٢.
- (٧٧) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ١٩١.

- (٧٨) ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد رسلان، القاهرة، حسن عباس زكي، ١٤١٩هـ، (ط١)، ج٣، ص٣٢٦.
- (٧٩) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩، ص٢٧١.
- (٨٠) أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٦هـ، (ط١)، ج١٩، ص٥٢.
- (٨١) ينظر: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، مصر، ١٩٩٧م، ج١١، ص٦٦٤٦.
- (٨٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤٢٥.
- (٨٣) ينظر: أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ، (ط١)، ج٣، ص٢٢٢.
- (٨٤) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ (ط١)، ج٥، ص١٨ بتصرف.